اثني عشر الف رطل من اللحم حاشا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثني عشر الف ترس عامرية لقصر
الزاهرة والزهرا قال واستمر على طريق المباهاة والفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور والمنتزهات
المخترعة لكنية السرور وعزها من شانيه البديعة انتهى ومن المطمح ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة
غزا غزوة وابعد فيها الايغال وغال فيها من عظماء الروم من غال وحل من ارضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم
يرع قط ولم يرق وصدر صدرا سما به على كل احسان عقيلة وجلا به كل صفحة الحسن صقيلة ودخل
قرطبة دخولا لم يعهد وشهد له فيها يوم شكر لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس
عداه عائده وحداه منتجعه ورائده وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر وله على ابن ابي عامر ايادي محكمة الاواصر
وهو الذي نهض به اول انهاضه وشفى امره زمن ابتياضه وخاصم المصحفي عنه بلسان من الحماية الله وتوخاه
باحسان قلده منه ارتياحه ما قلد واستمار ربيعه وحلي باعظم جاه جيده ولبته وكان كثيرا ما يستحفه
ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقعد تهنيه تأخر عنه او عقل فكتب اليه ابن شهيد

انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ◦ يا بنفسي تقيك مر الرزايا ◦ ورسول الاله اسهم في الفي
لمن لم يحث فيه المطايا ◦ فاجعلني فديت اشكل معز ◦ ونك وابعث بها علاب الثنايا

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كانهن نجوم سوار وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهار ◦ في ثلاث من المها ابكار ◦ فاتئد واجتهد فانك شيخ
سلخ الليل عن بياض النهار ◦ صانك الله من كلالك فيها ◦ فمن العار كلة المسمار

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ◦ واصطبغنا من النجيع الجاري
ونعمنا في ظل انعم ليل ◦ ولهونا بالبدر ثم الدراري ◦ وقضى الشيخ ما قضى بحسام
ذي مضاء عضب الظبا بتار ◦ فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ◦ واتخذه سيفا على الكفار

انتهى وقد قدمنا هذه الحكاية في اخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا اعدناها هنا بلفظ المطمح
لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة وممن كان في ايام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب
ابو مروان عبد الملك بن ادريس الخولاني قال في المطمح علم من اعلام الزمان وعين من اعيان البيان باهر
الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير ايام المنصور والانشا والشعر بدولته الافراح والانتشا
ولبس العزة ضافية البرود وورد بها النعم صافية الورود واستمطا من جياد التوجيه واعتنق من لاحق
والوجيه وتمادى طلقه ولا احد يلحقه الى ايام المظفر فثنى في سننه وتمادى السعد يترنم على فننه
الى ان قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته واميرها المطاع وكان ابو مروان قديم الاصطناع
له والانقطاع فاتهم معه وكاد ان يذوق الحمام ومصرعه الا ان احسانه شفع وبيانه نفع ورفع
تحطا عن تلك الرتب وحمل الى طرطوشة على القتب فبقي هنالك معتقلا في برج من ابراجها نائي
المنتهى كانما يناجي السهى قد بعد ساكنه عن الانيس فعد من النجم بمنزلة الجليس تمر الطيور
دونه ولا تجوزه ويرى منه الثريا ولا يكاد يحوزه فبقي فيه دهرا لا يرتقي اليه راق ولا يرجى لنه
راق الى ان اخرج منه الى نزاهة واستراح مما راه ومن بديع ما نظم قوله يصف المعقل الذي فيه اعتقل

ياوي اليه كل اعور ناعق ◦ وتهب فيه كل ريح صرصر ◦ ويكاد من يرقى اليه مرة ◦ من عمره يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليلة والمنصور قد انتشى وارتفق وتجلى بمجلسه ذلك الافق والدنيا بمجلسه ذلك مشرقه
واحاديث الاماني به منسوقه فامر بالنزول فنزل في جملة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب في السحاب
والافق يبدو به اغر ثم يعود بهيما والليل يتراءى منه اشقر ثم يعود ادهما وابو مروان قد انتشى وجال
في ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبغه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والالتياح وانطقه
ذلك السرور والارتياح فقال

وذلك انه لما تستر ◦ ارى بدر السما يلوح حينا ◦ فيبدو ثم يلتحف السحابا
وابصر وجهك استحيا فغابا ◦ مقال لو نمي عندي اليه ◦ لراجعني بذا حقا جوابا

وله في مدة اعتقاله وتردده في قيله وقاله

شحط المزار فلا مزار ونافرت
عيني الهجوع فلا خيال يعتري ◦ ازد وابصري وهو مشدود العرى ◦ والان عوجي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كله وتلذذي ◦ بالعيش طي صحيفة لم تنشر
بغير تذكاري وعين تذكر ◦ عجبا لقلبي يوم راعتني النوى ◦ ودنا وداع كيف لم يتفطر

رجع الى المنصور

وكان المنصور اذا اراد امرا مهما شاور ارباب الدولة الاكابر من خدام
الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذي عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج
الذي ابتدعه فيقضون في انفسهم بالهلاك في الطريق الذي سلكه والمهيع الذي اخترعه فتسفر العاقبة عن
السلامة التامة التي اتفقها سعده فيكثر التعجب من موارد امورها ومصادرها وقيل للمنصور ان فلانا
شوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يغطي على شوم فاستخدمه ولم ينله من شومه الذي جرت به العادة
نبي وحكي عنه انه كان في قصره بالزاهرة فتامل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة
وملأ عينه من الذي حواه من حسن وجمال والتفت في الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه
وتجهمهم وقال ويها لك يا زاهرة فليت شعري من الخائن الذي يكون خرابك على يديه عن قريب فقال
له بعض خاصته ما هذا الكلام الذي ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردي الذي لا يليق بمثله شغل
البال به فقال والله لترون ما قلت وكاني بمحاسن الزهرا قد محيت ورسومها قد عفت وبمبانيها

قر

خراب الزاهرة

قد هدمت ونحيت وبخزائنها قد نهبت وبساحاتها قد اضرمت بنار الفتنة والجبت قال الحاكي
فلم يكن الا ان توفي المنصور وتولى المظفر ولم تطل مدته فقام بالامر اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول
فقام عليه المهدي والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة بني ابي عامر ولم يبق
منهم آمر شعر كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ◦ انيس ولم يسمر بمكة سامر ◦ وخربت الزاهرة
وذهبت كامس الدابر وخلت منها الدسوت الملوكية والمنابر واستولى النهب على ما فيها من العدد
والذخائر والسلاح وتلاشى امرها فلم يرج لفسادها صلاح وصارت قاعا صفصفا واذيلت بايتام
الترح عن اوقات الفرح والصفا ويروى ان بعض اوليائه رآها في ذلك الزمان مزينها ونظر الى مصانعها السامية
الفائقة ومبانيها العالية الرائقة فقال ◦ يا دار فيك من كل داء ◦ فجعل الله منك كل دار
قال الحاكي فلم تكن بعد ذلك الصالح الا ايام يسيرة حتى نهبت ذخايرها وعم بالخراب سائرها فلم
تبق دار بالاندلس الا ودخلها من نهبها حصة كثيرة او قليلة وحقق الله دعاء ذلك الرجل الذي همت
مع دمه جليلة ولقد حكي ان بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية فسبحان من
لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا اله الا هو وتذكرت هنا ما رآه في المنام بعض اهل المغرب بالليلة
التي انقرض فيها ملك الموحدين ان شخصا ينشد ◦ ملك بني مومن تولى ◦ وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا ◦ سبحان من لا يبيد ملكه ◦ لا اله الا هو وكان المهدي القائم على العامريين
ماجنا فاتكا وقال وقد حياه في مجلس خمر غلام بقضيب آس ◦ اهديت شبه قوامك المياس
غصنا رطيبا ناعما من آس ◦ وكانما يحكيك في حركاته ◦ وكانما يحكيه في الانفاس

ذكر بقية اخبار المنصور في ايام دولته

وكان المنصور بن ابي عامر حين تغلب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدي المذكور فسلطه الله
على كل ما اسسه المنصور حتى هدمه واخر كل ما قدمه ولم ينفع في ذلك احتياط ولا حزم ولا راد
للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء فلا نكن متعرضا وقد قدمنا شيئا من اخبار المنصور ولا
باس ان نلم هنا ببعضها وان حصل منه نوع تكرار في نبذ منها لارتباط الكلام بعضه ببعض قال
بعض المحققين من المؤرخين حجر المنصور بن ابي عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره احد منذ
ولي الحجابة وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يعرف منهن ويامر من
ينحي الناس من طريقه حتى ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود غير انه اركبه بابهة الخلافة في بعض
الايام لغرض له كما لمعنا به فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك فكان هذا من
فعله سببا لانقطاع ملك بني امية من الاندلس واخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني امية خوف
ان يثوروا به ويظهر انه يفعل ذلك شفقة على المؤيد حتى افنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد
وادخلهم زوايا الخمول عارين من الطارف والتلاد وربما سكن بعضهم البادية وترك مجلس الابهة وناديه
حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة ◦ ابني امية اين اقمار الدجى
منكم واين نجومها والكوكب ◦ غابت اسود منكم عن غابها ◦ فلذاك حاز الملك هذا الثعلب
مع ان المنصور فاخر بديعها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب بنفسه
في الرواح والغدو وله مع المصحفي وغيره اخبار مرت وياتي بعضها ولا باس ان نلخص ترجمة المصحفي

ذكر ترجمة المصحفي الذي قتله المنصور

فنقول قال الفتح في المطمح الحاجب جعفر المصحفي تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ
المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقه وارتمى الى رتبة لم تكن الى بيته بمطابقة فالتاح في
افياء الخلافه وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافه واستوزره المستنصر وعنده كان ديسم وبه كان
يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاماليه الحبائل والشرك واقتنى وادخر ولم ير من سواه
وسخر واستعطف المنصور بن ابي عامر ونجمه بعد غابر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى
من روضة دنياه ولا قطف فاقام في تدبير الاندلس ما اقام والاندلس تغيره والاذهان في
تكييف سعده متحيره فناهيك من ذكر خلد ومن فخر مقلد ومن صعب راض وجناح فتنة هاض
ولم يزل يتهادى تلك الخلافة معتقلا وفي مطالعها متنقلا الى ان توفي الحكم فانتقض عقد المحكم
وانبرت اليه النوائب وتسددت اليه بسهام صوائب واتصل الى المنصور ذلك الامر واختص به
كما مال بين يدي اخوه النمر واناف في تلك الخلافة كاشب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب المصحفي
بصدر كان اوغره وساءه وصغره فاقتضى من تلك الاساءة واغص حلقه باي اشاءة فاخمله ونكبه
وارجله عما كان الدهر اركبه والهب جوارحه حزنا وذهب لمدخراته مختزنا ودمر عليه ما كان
حاط واحاط به من مكره وهمه ما احاط وعرسه في مهوى تلك النكبة وجر تلك الكربة ينقله
المنصور معه في غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق وحواته الى ان تكورت شمسه وفاضت بين اشنا
المحن نفسه ومن بديع ما حفظ له في نكبته قوله يسترجع من كربته ◦ صبرت على الايام لما تولت

والزمت نفسي صبرها فاستمرت ◦ فوا عجبا للقلب كيف اعترافه ◦ وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ◦ فان طمعت تاقت والا تسلت ◦ وكانت على الايام نفسي عزيزة
فلما رات صبري على الذل ذلت ◦ فقلت لها يا نفس موتي كريمة ◦ فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان للادب بارعا وخاطره الى نظم القريض يسارع فمن محاسن انشاده التي بعثها الدهر اناس دهرهم باسعاده قوله
لعينيك في قلبي علي عيون ◦ وبين ضلوعي للشجون فنون ◦ لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى ◦ فحبك عندي في الفؤاد مصون

Copyright King Saud University